أحمد مطر

أحاديث الأبواب

(1)

(كُنّا أسياداً في الغابة .

قطعونا من جذورنا .

قيّدونا بالحديد. ثمّ أوقفونا خَدَماً على عتباتهم .

هذا هو حظّنا من التمدّن.)

ليس في الدُّنيا مَن يفهم حُرقة العبيد

مِثْلُ الأبواب !

(2)

ليس ثرثاراً .

أبجديتهُ المؤلّفة من حرفين فقط

تكفيه تماماً

للتعبير عن وجعه :

(طَقْ !)

(3)

وَحْدَهُ يعرفُ جميعَ الأبواب

هذا الشحّاذ .

ربّما لأنـه مِثْلُها

مقطوعٌ من شجرة !

(4)

يَكشِطُ النجّار جِلدَه ..

فيتألم بصبر .

يمسح وجهَهُ بالرَّمل ..

فلا يشكو .

يضغط مفاصِلَه ..

فلا يُطلق حتى آهة .

يطعنُهُ بالمسامير ..

فلا يصرُخ .

مؤمنٌ جدّاً

لا يملكُ إلاّ التّسليمَ

بما يَصنعهُ

الخلاّق !

(5)

(إلعبوا أمامَ الباب)

يشعرُ بالزَّهو .

السيّدةُ

تأتمنُهُ على صغارها !

(6)

قبضَتُهُ الباردة

تُصافِحُ الزائرين

بحرارة !

(7)

صدرُهُ المقرور بالشّتاء

يحسُدُ ظهرَهُ الدّافىء .

صدرُهُ المُشتعِل بالصّيف

يحسدُ ظهرَهُ المُبترد .

ظهرُهُ، الغافِلُ عن مسرّات الدّاخل،

يحسُدُ صدرَهُ

فقط

لأنّهُ مقيمٌ في الخارج !

(8)

يُزعجهم صريرُه .

لا يحترمونَ مُطلقاً ..

أنينَ الشّيخوخة !

(9)

ترقُصُ ،

وتُصفّق .

عِندَها

حفلةُ هواء !

(10)

مُشكلةُ باب الحديد

إنّهُ لا يملِكُ

شجرةَ عائلة !

(11)

حَلقوا وجهَه .

ضمَّخوا صدرَه بالدُّهن .

زرّروا أكمامَهُ بالمسامير الفضّية .

لم يتخيَّلْ،

بعدَ كُلِّ هذهِ الزّينة،

أنّهُ سيكون

سِروالاً لعورةِ منـزل !

(12)

طيلة يوم الجُمعة

يشتاق إلى ضوضاء الأطفال

بابُ المدرسة .

طيلة يوم الجُمعة

يشتاقُ إلى هدوء السّبت

بابُ البيت !

(13)

كأنَّ الظلام لا يكفي ..

هاهُم يُغطُّونَ وجهَهُ بِستارة .

(لستُ نافِذةً يا ناس ..

ثُمّ إنني أُحبُّ أن أتفرّج).

لا أحد يسمعُ احتجاجَه .

الكُلُّ مشغول

بمتابعة المسرحيّة !

(14)

أهوَ في الدّاخل

أم في الخارج ؟

لا يعرف .

كثرةُ الضّرب

أصابتهُ بالدُّوار !

(15)

بابُ الكوخ

يتفرّجُ بكُلِّ راحة .

مسكينٌ بابُ القصر

تحجُبُ المناظرَ عن عينيهِ، دائماً،

زحمةُ الحُرّاس !

(16)

(يعملُ عملَنا

ويحمِلُ اسمَنا

لكِنّهُ يبدو مُخنّثاً مثلَ نافِذة).

هكذا تتحدّثُ الأبوابُ الخشَبيّة

عن البابِ الزُّجاجي !

(17)

لم تُنْسِهِ المدينةُ أصلَهُ .

ظلَّ، مثلما كان في الغابة،

ينامُ واقفاً !

(18)

المفتاحُ

النائمُ على قارعةِ الطّريق ..

عرفَ الآن،

الآن فقط،

نعمة أن يكونَ لهُ وطن،

حتّى لو كان

ثُقباً في باب !

(19)

-(مَن الطّارق ؟

-أنا محمود).

دائماً يعترفون ..

أولئكَ المُتّهمون بضربه !

(20)

ليسَ لها بيوت

ولا أهل .

كُلَّ يومٍ تُقيم

بين أشخاصٍ جُدد ..

أبوابُ الفنادق !

(21)

لم يأتِ النّجارُ لتركيبه .

كلاهُما، اليومَ،

عاطِلٌ عن العمل !

(22)

-أحياناً يخرجونَ ضاحكين،

وأحياناً .. مُبلّلين بالدُّموع،

وأحياناً .. مُتذمِّرين .

ماذا يفعلونَ بهم هناك ؟ !

تتساءلُ

أبوابُ السينما .

(23)

(طَقْ .. طَقْ .. طَقْ)

سدّدوا إلى وجههِ ثلاثَ لكمات ..

لكنّهم لم يخلعوا كَتِفه .

شُرطةٌ طيّبون !

(24)

على الرّغمَ من كونهِ صغيراً ونحيلاً،

اختارهُ الرّجلُ من دون جميع أصحابه .

حَمَلهُ على ظهرِهِ بكُلِّ حنانٍ وحذر .

أركَبهُ سيّارة .

(مُنتهى العِزّ)..قالَ لنفسِه .

وأمامَ البيت

صاحَ الرّجُل: افتحوا ..

جِئنا ببابٍ جديد

لدورةِ المياه !

(25)

-نحنُ لا نأتي بسهولة .

فلكي نُولدَ،

تخضعُ أُمّهاتُنا، دائماً،

للعمليّات القيصريّة .

يقولُ البابُ الخشبي،

وفي عروقه تتصاعدُ رائِحةُ المنشار .

-رُفاتُ المئات من أسلافي ..

المئات .

صُهرتْ في الجحيم ..

في الجحيم .

لكي أُولدَ أنا فقط .

يقولُ البابُ الفولاذي !

(26)

-حسناً ..

هوَ غاضِبٌ مِن زوجته .

لماذا يصفِعُني أنـا ؟ !

(27)

لولا ساعي البريد

لماتَ من الجوع .

كُلَّ صباح

يَمُدُّ يَدَهُ إلى فَمِـه

ويُطعِمُهُ رسائل !

(28)

(إنّها الجنَّـة ..

طعامٌ وافر،

وشراب،

وضياء ،

ومناخٌ أوروبـّي).

يشعُرُ بِمُنتهى الغِبطة

بابُ الثلاجة !

(29)

-لا أمنعُ الهواء ولا النّور

ولا أحجبُ الأنظار .

أنا مؤمنٌ بالديمقراطية .

-لكنّك تقمعُ الهَوام .

-تلكَ هي الديمقراطية !

يقولُ بابُ الشّبك .

(30)

هاهُم ينتقلون .

كُلُّ متاعِهم في الشّاحِنة .

ليسَ في المنـزل إلاّ الفراغ .

لماذا أغلقوني إذن ؟ !

(31)

وسيطٌ دائمٌ للصُلح

بين جِدارين مُتباعِدَين !

(32)

في ضوء المصباح

المُعلّق فوقَ رأسهِ

يتسلّى طولَ الليل

بِقراءةِ

كتابِ الشّارع !

(33)

(ماذا يحسبُ نفسَه ؟

في النّهاية هوَ مثلُنا

لا يعملُ إلاّ فوقَ الأرض).

هكذا تُفكّرُ أبواب المنازل

كُلّما لاحَ لها

بابُ طائرة .

(34)

من حقِّهِ

أن يقفَ مزهوّاً بقيمته .

قبضَ أصحابُهُ

من شركة التأمين

مائة ألفِ دينار،

فقط ..

لأنَّ اللصوصَ

خلعوا مفاصِلَه !

(35)

مركزُ حُدود

بين دولة السِّر

ودولة العلَن .

ثُقب المفتاح !

(36)

-محظوظٌ ذلكَ الواقفُ في المرآب .

أربعُ قفزاتٍ في اليوم ..

ذلكَ كُلُّ شُغلِه .

-بائسٌ ذلك الواقفُ في المرآب .

ليسَ لهُ أيُّ نصيب

من دفءِ العائلة !

(37)

ركّبوا جَرَساً على ذراعِه .

فَرِحَ كثيراً .

مُنذُ الآن،

سيُعلنون عن حُضورهم

دونَ الإضطرار إلى صفعِه !

(38)

أكثرُ ما يُضايقهُ

أنّهُ محروم

من وضعِ قبضتهِ العالية

في يدِ طفل !

(39)

هُم عيّنوهُ حارساً .

لماذا، إذن،

يمنعونَهُ من تأديةِ واجِبه ؟

ينظرُ بحقد إلى لافتة المحَل :

(نفتَحُ ليلاً ونهاراً !)

(40)

-أمّا أنا.. فلا أسمحُ لأحدٍ باغتصابي .

هكذا يُجمِّلُ غَيْرتَه

الحائطُ الواقف بينَ الباب والنافذة .

لكنَّ الجُرذان تضحك !

(41)

فَمُهُ الكسلان

ينفتحُ

وينغَلِق .

يعبُّ الهواء وينفُثهُ .

لا شُغلَ جديّاً لديه ..

ماذا يملِكُ غيرَ التثاؤب ؟ !

(42)

مُعاقٌ

يتحرّكُ بكرسيٍّ كهربائي ..

بابُ المصعد !

(43)

هذا الرجُلُ لا يأتي، قَطُّ،

عندما يكونُ صاحِبُ البيتِ موجوداً !

هذهِ المرأةُ لا تأتي، أبداً ،

عندما تكونُ رَبَّةُ البيتِ موجودة !

يتعجّبُ بابُ الشّارع .

بابُ غرفةِ النّوم وَحدَهُ

يعرِفُ السّبب !

(44)

(مُنتهى الإذلال .

لم يبقَ إلاّ أن تركبَ النّوافِذُ

فوقَ رؤوسنا).

تتذمّرُ

أبوابُ السّيارات !

(45)

-أنتَ رأيتَ اللصوصَ، أيُّها الباب،

لماذا لم تُعطِ أوصافَهُم ؟

-لم يسألني أحد !

(46)

تجهلُ تماماً

لذّةَ طعمِ الطّباشير

الذي في أيدي الأطفال،

تلكَ الأبوابُ المهووسةُ بالنّظافة !

(47)

-أأنتَ متأكدٌ أنهُ هوَ البيت ؟

-أظُن ..

يتحسّرُ الباب :

تظُنّ يا ناكِرَ الودّ ؟

أحقّاً لم تتعرّف على وجهي ؟ !

(48)

وضعوا سعفتينِ على كتفيه .

-لم أقُم بأي عملٍ بطولي .

كُلُّ ما في الأمر

أنَّ صاحبَ البيتِ عادَ من الحجّ .

هل أستحِقُّ لهذا

أن يمنحَني هؤلاءِ الحمقى

رُتبة (لواء) ؟ !

(49)

ليتسلّلْ الرّضيع ..

لتتوغّلْ العاصفة ..

لا مانعَ لديهِ إطلاقاً .

مُنفتِح !

(50)

الجَرسُ الذي ذادَ عنهُ اللّطمات ..

غزاهُ بالأرق .

لا شيءَ بلا ثمن !

(51)

يقفُ في استقبالِهم .

يضعُ يدَهُ في أيديهم .

يفتحُ صدرَهُ لهم .

يتنحّى جانباً ليدخلوا .

ومعَ ذلك،

فإنَّ أحداً منهُم

لم يقُلْ لهُ مرّةً :

تعالَ اجلسْ معنا !

(52)

في انتظار النُزلاء الجُدد ..

يقفُ مُرتعِداً .

علّمتهُ التّجرُبة

أنهم لن يدخلوا

قبل أن يغسِلوا قدميهِ

بدماءِ ضحيّة !

(53)

(هذا بيتُنـا)

في خاصِرتي، في ذراعي،

في بطني، في رجلي .

دائماً ينخزُني هذا الولدُ

بخطّهِ الرّكيك .

يظُنّني لا أعرف !

(54)

(الولدُ المؤدَّب

لا يضرِبُ الآخرين).

هكذا يُعلّمونهُ دائماً .

أنا لا أفهم

لماذا يَصِفونهُ بقلّةِ الأدب

إذا هوَ دخلَ عليهم

دون أن يضربَني ؟ !

(55)

-عبرَكِ يدخلُ اللّصوص .

أنتِ خائنةٌ أيتها النّافذة .

-لستُ خائنةً، أيها الباب،

بل ضعيفة !

(56)

هذا الّذي مهنتُهُ صَدُّ الرّيح ..

بسهولةٍ يجتاحهُ

دبيبُ النّملة !

(57)

(إعبروا فوقَ جُثّتي .

إرزقوني الشّهادة).

بصمتٍ

تُنادي المُتظاهرين

بوّابةُ القصر !

(58)

في الأفراح أو في المآتم

دائماً يُصابُ بالغَثيان .

ما يبلعهُ، أوّلَ المساء،

يستفرغُهُ، آخرَ السّهرة !

(59)

اخترقَتهُ الرّصاصة .

ظلَّ واقفاً بكبرياء

لم ينـزف قطرةَ دَمٍ واحدة .

كُلُّ ما في الأمر أنّهُ مالَ قليلاً

لتخرُجَ جنازةُ صاحب البيت !

(60)

قليلٌ من الزّيت بعدَ الشّتاء،

وشيءٌ من الدُّهن بعد الصّيف .

حارسٌ بأرخصِ أجر !

(61)

نحنُ ضِمادات

لهذه الجروح العميقة

في أجساد المنازل !

(62)

لولاه ..

لفَقدتْ لذّتَها

مُداهماتُ الشُّرطة !

(63)

هُم يعلمون أنهُ يُعاني من التسوّس،

لكنّ أحداً منهم

لم يُفكّر باصطحابِهِ إلى

طبيب الأسنان !

(64)

-هوَ الذي انهزَم .

حاولَ، جاهِداً، أن يفُضَّني ..

لكنّني تمنَّعْتُ .

ليست لطخَةَ عارٍ،

بل وِسامُ شرَف على صدري

بصمَةُ حذائه !

(65)

-إسمع يا عزيزي ..

إلى أن يسكُنَ أحدٌ هذا البيت المهجور

إشغلْ أوقات فراغِكَ

بحراسة بيتي .

هكذا تُواسيهِ العنكبوت !

(66)

ما أن تلتقي بحرارة الأجساد

حتّى تنفتحَ تلقائيّاً .

كم هي خليعةٌ

بوّاباتُ المطارات !

(67)

-أنا فخورٌ أيّتُها النافذة .

صاحبُ الدّار علّقَ اسمَهُ

على صدري .

-يا لكَ من مسكين !

أيُّ فخرٍ للأسير

في أن يحمِل اسمَ آسِرِهِ ؟ !

(68)

فكّوا قيدَهُ للتّو ..

لذلكَ يبدو

مُنشرحَ الصَّدر !

(69)

تتذمّرُ الأبواب الخشبيّة :

سَواءٌ أعمِلنا في حانةٍ

أم في مسجد،

فإنَّ مصيرَنا جميعاً

إلى النّار !

(70)

في السّلسلةِ مفتاحٌ صغيرٌ يلمع .

مغرورٌ لاختصاصهِ بحُجرةِ الزّينة .

-قليلاً من التواضُع يا وَلَد ..

لولايَ لما ذُقتَ حتّى طعمَ الرّدهة .

ينهرُهُ مفتاحُ البابِ الكبير !

(71)

يُشبه الضميرَ العالمي .

دائماً يتفرّج، ساكتاً، على ما يجري

بابُ المسلخ !

(72)

في دُكّان النجّار

تُفكّرُ بمصائرها :

-روضةُ أطفال ؟ ربّما .

-مطبخ ؟ مُمكن .

-مكتبة ؟ حبّذا .

المهمّ أنها لن تذهبَ إلى السّجن .

الخشَبُ أكثرُ رقة

من أن يقوم بمثلِ هذه المهمّة !

(73)

الأبوابُ تعرفُ الحكاية كُلَّها

من (طَقْ طَقْ)

إلى (السَّلامُ عليكم).